تقديم

الكلام عن الأزمة الفكريّة ومناهج التغيير هُوَ استمرار للهم الإسلاميّ العام في فهم التحديّات وتوفير عوامل النهضة. إنّه مواجهة مع الذات وموقف مع الغير. إنّه لحظة الحقيقة. حقيقة الداخل؛ أي: ذواتنا وماهيتنا وما استقر عليه فكرنا من معتقدات وما تجري في عروقنا من دماء، وحقيقة الخارج، أي: محيطنا والمناخات التي تصنع الإرادات والتعاملات وتصوغ مناهج الحياة مما يعود سلبًا أو إيجابًا علينا وعلى غيرنا.

مَا حقيقة مناهجنا ومناهج الآخرين؟ أين نقف؟ ماذا نريد لنا ولغيرنا؟ وأين يقف الآخرون؟ وماذا يريدون منا؟ هل نحن جزء من كل؟ أم نحن كل نقف بجانب حالات كليّة متكاملة؟ لماذا هذا التأخر في صفوفنا؟ لماذا يستولى علينا الجوع والمرض والتأخر والذل؟ لماذا فقدنا المبادرة وأصبحنا مجرد صدى لغيرنا؟ لماذا نتهم بالعدوان في حين أن كل مَا يجري لنا هُوَ عدوان علينا؟ هل هناك أزمة خاصّة تتعلق بنا أم إنّنا نعيش أزمة عامّة نحن جزء منها؟ أم إنّها أزمة عابرة يجب أن نعرف كيف ننأى بأنفسنا عنها؟

عندما تطرح أمّة هذه الأسئلة على نفسها؛ فذلك يعني أن هذه الأمّة تمر بأزمة خانقة. وعندما تبلغ التساؤلات هذه الأبعاد فإن ذلك يعني أنّنا لم نشخص بعد أبعاد الأزمة ولا علاجاتها أو على الأقل أنّنا لم نتفق على ذلك كلّه أو أنّنا لم نوفر الزخم المطلوب لتجاوز هذه الأوضاع المأساويّة وهو شرط رئيسي للنجاح أو للاطمئنان بأننا سائرون في طريقه.

ولعلّ خير من يستطيع ادعاء التصدي لهذه الأزمة هُوَ الأستاذ الدكتور طه جابر العلواني. فهو قد جمع بين الخبرة العلميّة والمعرفة النظريّة. له باع طويل في المعارف الإسلاميّة قديما وحديثا، وله اطلاع واسع على النظريّات الغربيّة وعلى تجارب الأمم ومناهجها وسياستها العلميّة. طالب بسيط متواضع وهو يقف أمام بحر العلوم والأبحاث، رغم أنّه علم يشار إليه بالبنان، وشيخ وأستاذ يتتلمذ على يديه المئات والآلاف في شرق الأرض ومغاربها له حضور في الجامعات والمؤتمرات والندوات لا يكاد يضاهيه فيه أحد، ناهيك عن مبادراته في تأسيس ذلك كلّه والإشراف عليه، كتبه وكتاباته تمتلئ بها المكتبات ويتلقفها طلاب العلم والمعرفة. فهو نبع للعلوم وبحر تصب فيه أنهار المعرفة، يجمع بين التقليديّة والمعاصرة جمعًا مبدعًا لا يفكك الأصول بل يجددها ويعيد الحيويّة إليها، يجمع بين المشيخة

والشبابيّة، والمشارقيّة والمغاربيّة، ويلتقي عنده الماضي وترى فيه آفاق المستقبل، غيابه عن الأزمة أزمة، وأزمته أزمة هذه الأمّة في فكرها وواقعها ومستقبلها. وفقه الله -تبارك وتعالى- وسدد خطاه وزاده علما على علم ونصر به هذا الأمّة وانتصر به على واقع الجهل والفوضى والتخلف والعدوان.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عادل عبد المهدي

obeikandl.com